فانها ابصار اللون ولم يقل لا يدركه البصر فان هويته احدية الوصف فلا كثرة فيها وهي بصر في كل مبصر فهو
وان تعددت ذوات الباصرين فالبصر واحد من الجميع اذا كان البصر هوية الحق فيصح ان البصر عند ذلك
يدركه لانه ليس غيره فهو الرائي والمرئي فان الحقيقة المنفية في هذه الآية في قوله لا تدركه الابصار فان الابصار
هنا معان يدرك بها المبصرات ما هي تدرك المبصرات بخلاف اذا كان عين الحق عين بصرك فيصح ان يقال
في مثل هذا يدركه البصر فينسب الادراك اليه مع صحة كونه بصرا للعبد فتفطن لهذه المسئلة فانها نافعة
جدا وتعلم من ذلك ان لله عبادا عجل لهم رؤيته في الدنيا قبل الآخرة ولله عبادا اخرهم ذلك ولله عبادا
لا يرونه الا بابصارهم في الآخرة وينزلون عن رتبة هؤلاء في الرؤية ولله عبادا يرونه في الدنيا بابصار
ايمانهم وفي الآخرة البرزخية باعين خيالهم يقظة ونوما وموتا ومن هنا قال من قال من اهل الله ان العلم
حجاب يريدون علم النظر الفكري اي العلم الذي استفاده العاقل من نظره في الله فهذا معنى قوله صرفت بصره
عني فما رآني من رآني الا بي ومن رآني ببصره فما رأى الا نفسه فانني بصورته تجليت له فرجال
الله علموا الله باعلام الله فكان هو علمهم كما كان بصرهم ومثل هؤلاء لو تصور منهم نظر فكري لكان الحق
عين فكرهم كما كان عين علمهم وعين بصرهم وسمعهم لكن لا يتصور ممن يكون مشهده هذا وذوقه
ان يكون له فكر البتة في شيء انما هو مع ما يوحى اليه على اختلاف ضروب الوحي الفهم عن الله ابتداء من غير تفكر
فان اعطى الفهم عن تفكر فما هو ذلك الرجل فان الفهم عن الفكر يصيب وقتا ويخطي وقتا والفهم لا عن فكر
وحي صريح من الله لعبده وذوق الانبياء في هذا الوحي يزيد على ذوق الاولياء فان قابل الاخص في الاعم محصل
للاعم وليس قابل الاعم الذي لا يتعين فيه الاخص يحصل له فيه ذوق الاخص وان كان مندرجا فيه فلا حكم
له في الذوق وان كان له حكم في الكل الا انه لا يفقده على الفصل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب السادس والعشرون واربعمائة في معرفة منازلة السر الذي منه قال عليه السلم حين استفهم

عن رؤية ربه نور اني اراه

النور كيف يراه الظل وهو به ، قد قام في الكون عينا في تجليه
فان تجلى بنعت النور كان له ، حكم التجلي ولكن في تخليه
الروح ظل وعين الجسم يبديه ، من نور ذات يراه في تدليه
وليس يدري الذي قلناه غير فتى ، ذي خلوة فيراه في تخليه
وقد يراه الذي ولى بصورته ، عنه فبان له لدى توليه

قال الله تعالى الله نور السموات والارض والنور يدرك به ولا يدرك في نفسه فهو حجاب عليك عن
نفسه وانت والعالم حجاب عليك وقوله عليه السلم ان لله سبعين الف حجاب او سبعين حجابا من نور وظلمة

فحجاب

فحجاب النور من هذه الحجب واحد والظلمة الحجابية ما بقي من هذا العدد فهو عين الحجاب عليك وهو المحتجب
فيه فبنفسه احتجب فالنور لا يرى ابدا والظلمة فان حجبت فانها مرئية للمناسبة التي بينها وبين الرائي فانه
ما ثم ظلمة وجودية الا ظلمة الاكوان وكان عليه السلم يسأل الله ان يجعله نورا لما علم ان الله هو النور وعلم
ان النور الادنى يندرج في النور الاعلى وعلم ان الحق هو جميع ما يكون به العبد عبدا من جميع الوجوه وانه
من حيث هويته لا نعت له ولا صفة فعلم ان نسبة النعتية اليه والصفة ما هو غير الحق لا من حيث
صفة الحق بل من هويته ولا يذكر العبد بهويته وانما يذكر بما يقوم به من الصفات وليست الا هوية الحق
فقوله واجعلني نورا عين قوله واجعلني انت وانت لا يكون بالجعل فقال له اقمني في علم شهود اني انت حتى اتميز
عن غيري من هويات العالم فاعلمهم واعلم من انا وهم لا يعلمون واذا كان الامر على هذا فما اندرج نور في نور
وانما هو نور واحد في عين صورة خلق فانظر ما اعجب هذا الاسم فالخلق ظلمة ولا نقف للنور فانه ينفرها فالظلمة
لا ترى النور وما ثم نور الا النور الحق فلهذا قال نور اني اراه فانه ما رآه مني الا هويته وظلمتي لا تدركه وهذا
سر خفي عن ادراك الادلة النظرية وعن ادراك الشهود في الصور وهو من اسنى العلوم الالهية الواضحة فلم يدركها
من العبد الا هو فهو العلم والعالم والمعلوم في هذه المسئلة ولنا فصل الاضافة الى السموات وهو ما غاب من القوى
وعلا والى الارض وهو ما ظهر من القوى الحسية ودنا قال الله تعالى انه عين نفورها عن ذاتها فلم تشهد الا هو
فهو عين السموات والارض ولم يقل كما قال فيه المفسر معناه منورا وهادي فذلك له اسم خاص وهو الهادي الذي
هداهم لاباية حمل الامانة والى الاتيان بالطاعة لامره فهو من باب اجابة الاسماء للاسماء اذا دعا بعضها بعضا
فذلك علم آخر الهي واما هنا فما قال الا انه نور السموات والارض والنور النفور ويؤيد ذلك التشبيه بالمصباح
على الوصف الخاص فان مثل هذا النور المصباحي ينفر ظلمة الليل مع بقاء الليل ليلا فانه ليس من شرط وجود الليل
وجود الظلمة وانما عين الليل غروب الشمس الى حين طلوعها سواء اعقب المحل نور آخر سوى نور الشمس او ظلمة
فوقع الغلط في ماهية الليل ما هي ولهذا قال والليل اذا سجى فلو كان عين الليل عين الظلمة ما نعته بانه اظلم
فقد يكون الليل ولا ظلمة كما انه قد يكون النهار ولا ضوء فان النهار ليس الا زمان طلوع الشمس الى غروبها وان
طلعت مكسوفة فلا يزول الحكم عن كون النهار موجودا فان قيل ما سمي النهار نهارا الا لاتساع النور فيه قلنا
وان كان فلا يقدح فيما ذهبنا اليه من ماهية النهار فان ذلك الكسوف امر عرض لا يقدح في طلوع الشمس
ولو اظلمت في نفسها فكيف وعلة الكسوف لها معلوم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)